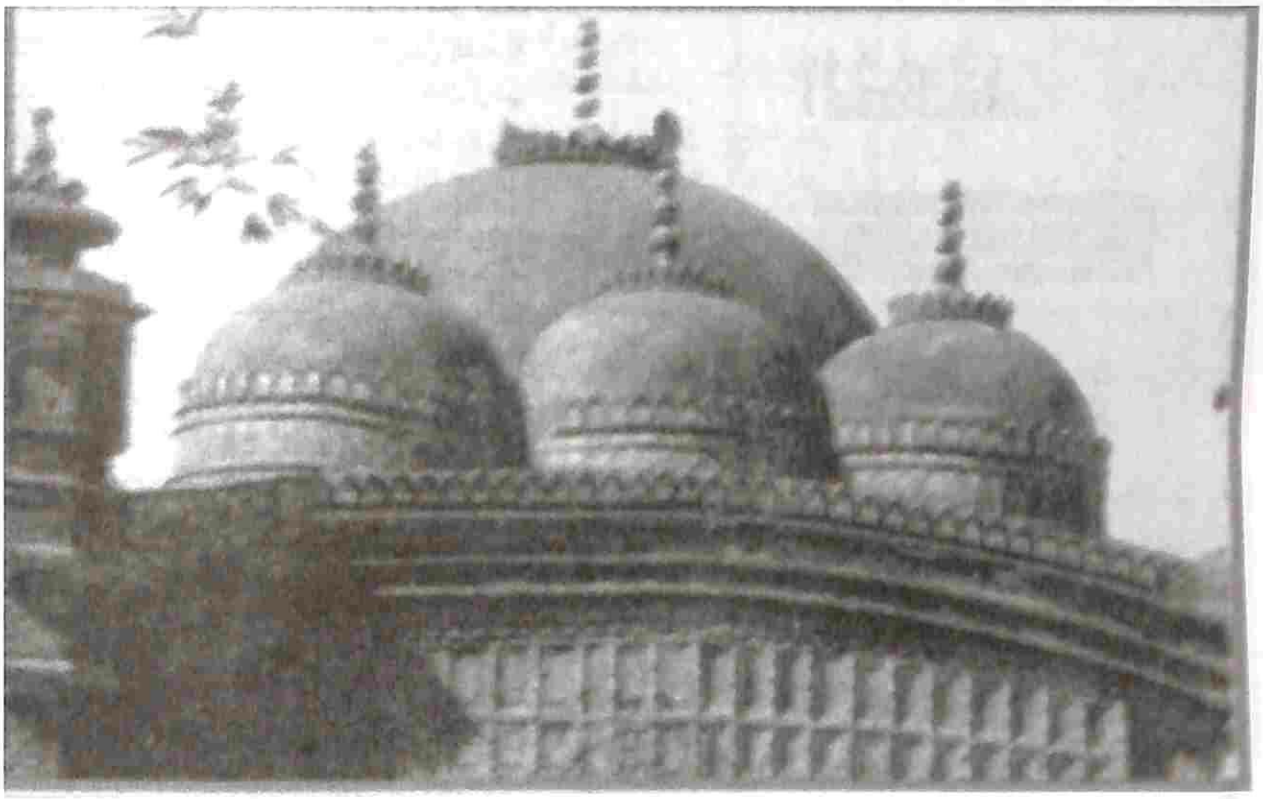

الشاعر البنغالي:

القاضي نذر الإسلام وأدبه الإسلامي

بقلم: الدكتور أ . ص . م طريق الإسلام*

هل آيات الله عز وجل اختلاف اللغات، إذ قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[1] واللغة البنغالية آية من تلك، يتكلم بها مئتان وخمسون مليون نسمة . هذه اللغة منتشرة في بنجلادش وفي ولاية البنغال الشرقي بالهند . ولقد ظهر في هذه اللغة الأدباء والشعراء الذين طارت شهرتهم في العالم كله، وحصل الشاعر الهندوسي طاغور على جائزة نوبل للديوان الذي كتبه بهذه اللغة . و(القاضي نذر الإسلام) من الذين اشتهروا بالأدب البنغالي شعراً ونثراً، ولكن مع الأسف الشديد لم تترجم آثاره إلى كثير من اللغات العالمية ولهذا لا يعرف عنه كثيراً أصحاب اللغات الأخرى . ومع العلم أنه يعد من أبرز الشعراء الإسلاميين في المنطقة .

ولد شاعرنا (القاضي نذر الإسلام) في بيت طيني متواضع لأسرة فقيرة بـ(جروليا) إحدى قرى مديرية (آسانسول) في محافظة (باردهومان) بولاية البنغال الغربي الهندية في يوم الثلاثاء، ٢٤ من شهر مايو سنة ١٨٩٩م[٢] .

أسرته

كان شاعرنا من أسرة شريفة النسل، ونجيبة الأصل بالرغم من أنها فقيرة معانية من ضيق الاقتصاد، وأجداده الذين كانوا من الأغنياء هاجروا من (حاجي بور) بمحافظة (باتنا) في عصر الملك المغولي (شاه عالم) واتخذوا (جروليا) سكناً لهم . في ذلك الوقت كانت في تلك القرية دار القضاء، وكان قاضيها من أسرة الشاعر، فسميت أسرته بأسرة القاضي [٣] .

مات أبوه وهو في سن الطفولة لم يتجاوز التاسعة من عمره وذلك في سنة ١٩٠٨ م [٤] فعاش يتيماً، ومن هنا ذاق مرارة الحياة فتدرب على الصبر والجلد منذ نعومة أظفاره .

وقد تلقى دراسته الابتدائية في كتاب القرية . وفاز في اختبار المرحلة الابتدائية عام ١٩٠٩ م، ثم اضطر أن يترك الدراسة لحالته الاقتصادية القاسية، فعمل في مسجد قريته مؤذنا وإماما ومدرسا في كتابها . ولهذه الوظيفة أثر بالغ في حياته، فمن هنا تأثر شاعرنا بالثقافة الإسلامية.

تعلم الفارسية في شبابه من أستاذه (مولوي القاضي فضل أحمد) حتى أتقنها ؛ ولهذا السبب استخدم الكثير من الكلمات الفارسية في شعره البنغالي [٥]. وكذلك تعلم الأردية والفارسية من عمه (بذل الكريم)[٦]. وفي هذه الفترة ضاقت عليه الحياة فعاش عيشة الكفاف والتعفف، فاشترك مع جماعة الأغنية الريفية باسم (مجموعة ليتو) لكسب لقمة العيش[٧] فكان يكتب الشعر والأغنية والمسرحية لتقدمها هذه الجماعة إلى عامة الناس، وأحياناً يلقي الشعر والأغنية ارتجالاً وهو على المنصة في المحافل المختلفة . فهذه البيئة فتحت قرائحه وشحذت ذهنه وساعدت على تنمية موهبته . من أمثلة تلك الأغاني التي كتبها في ذاك الوقت :

" زرعت بذرة اسم الله في حقول فؤادي هذه المرة

وسوف تنتج منها الغلة فأبيعها في سوق يوم القيامة "[٨].

ولا شك أننا نرى اللون الإسلامي بل الكلمات الإسلامية الملموسة في هذه الأغنية فالأغنية كلها إسلامية لفظاً ومعنى وتصوراً .

وكانت آماله أوسع من وضعه المالي، فرغبته العلمية دفعته إلى ترك هذه الجماعة والالتحاق بمدرسة (معهد نابين جندرا) بـ(باردهومان) في الصف السادس [٩] ولم يستطع أن يستمر بالدراسة لشدة الفقر، فعمل في مخبز في أسانسول بمقابل روبية واحدة يومياً . ففوجئ يوما بلقاء مع مراقب الشرطة القاضي فيض الله، ورأى المراقب موهبته الفذة فأخذه معه وأدخله في المدرسة للتعليم مرة أخرى عام ١٩١٤ م . وكانت المدرسة في منطقة ذاك المراقب (داري رام بور بمؤمن شاهي) وهي كانت إحدى محافظات البنغال الشرقي [١٠] ومكث فيها سنة فقط ورجع إلى بلده ولازم مدرسة سيارسول الثانوية من ١٩١٥ إلى سنة ١٩١٧ من الصف الثامن إلى الصف العاشر وكان في ذاك الوقت يحصل سبعة روبيات مكافأة من راجباري،[١١] وهي قبيلة مشهورة في تلك القرية . وقبل أن يجلس لامتحان الثانوي المركزي النهائي من تلك المدرسة التحق بالجيش مخلفاً دراسته وراءه كلياً .

■ برغم تفوقه الفني شعراً ونثراً إلا أن التزامه الإسلامي حال دون الإقبال على ترجمة أعماله إلى اللغات الأخرى .

حياته العسكرية

كان شاعرنا طالباً في آخر سنة في الصف العاشر في عام ١٩١٧م إذ دق جرس الحرب العالمية الأولى ودخل سيلها العارم ربوع البنغال، وكانت الجيوش الهندية البريطانية تحارب في حينه مع حلفائها في مناطق شتى، فالتحق شاعرنا بفرقة الجيش المسماة بالفرقة البنغالية المكونة من البنغاليين فقط. [١٢] ومكث ثلاثة أشهر بـ(نوشيرا) - مركز التدريب للعسكريين -

للتمرين، ثم ذهب مع الجيوش إلى كراتشي وبعد فترة قليلة تكللت جهوده بوسام عسكري بترقية إلى رتبة (حابيلدار) لمهارته العسكرية. والجدير بالذكر أن موهبته الشاعرية تطورت مع حياته العسكرية، فحياته العسكرية التي أتاحت له الفرصة الذهبية لكتابة القصائد الشعرية والتمكن من العلوم والفنون المتنوعة وكما ذكرت سالفاً أنه تعلم اللغة الفارسية من أستاذ قريته وتمكن منها على يد المولوي البنجابي الذي كان في ذاك الجيش، فقرأ أكثر دواوين الشعراء الفارسيين ومن ثم بدأت كتابته الشعر والنثر بكثرة، وأرسلها إلى المجلات والصحف، فكان أولى مقالاته نشرت في شهر مايو سنة ١٩١٩م (باونديلر أتوكاهيني) أي سيرة المتشرد الذاتية في صحيفة (شوغات) . كما نشر أول أشعاره (مكتي) أي النجاة في صحيفة (المجلة الأدبية للأدباء المسلمين البنغاليين) في شهر يوليو ١٩١٩م[١٣] .

وقد عبر الشعراء الإنجليز عن خبراتهم الحربية في أشعارهم ومن بينهم روبرت بروكس (١٨٨٧-١٩١٥م) ويل فريدي وين (١٩١٨-١٩٩٣م)، وشارلس شورلي، وقد تأثر شاعرنا بهؤلاء الشعراء وبدأ يسجل خبراته الحربية في الشعر . وبعد أن وضعت الحرب العالمية أوزارها رجع الشاعر إلى كلكتا وأنشأ صلته بالجرائد والمجلات البنغالية، فمن أشهر الجرائد والمجلات التي نشرت أشعاره آنذاك (المجلة الأدبية للأدباء المسلمين البنغاليين)، و(مسلم بهارت) الشهرية، و (نابو جوغ) اليومية وغيرها .

حياته الثائرة

بعدما وصل الظلم الإنجليزي إلى الغاية ضد الشعب الهندي وبلغ السيل الزبى انفجر الشعب كله رافعا هتافاته ضد الاستعمار ومطالبته القوية بالاستقلال . والأدب وسيلة رائعة وسلاح حاد لفك سلاسل الاحتلال وإشعال نار الحركة الاستقلالية ضد الاستعمار، وقد تقدم شاعرنا بلواء الأدب شعراً ونثراً لقيادة هذا الشعب فأسمعهم قصيدة (مزمار النار) التي ألفها في سنة ١٩٢١م. وكتب أشعاراً كثيرة أثارت حماسة الشعب وأيقظتهم من الغفلة والنوم[١٤] ومن هذه القصائد :

١ - الثائر
٢ - أغاني الدمار

عاش في شظف العيش منذ الطفولة، وتركت وفاة والده أثراً كبيراً فيه برز في أعماله، وقاده إلى عصامية ملتزمة إسلامياً صنعت منه أديباً كبيراً .

٣ - سرور الإبادة
٤ - أنوار
٥ . سفينة النجاة، وغيرها .

والجدير بالذكر أن قصيدته (الثائر) أثرت في نفوس الشعب البنغالي تأثيراً بالغاً لا يوجد له نظير في الأدب قاطبة، ولهذا اشتهر باسم (الشاعر الثائر)[١٥] وبه طار صيته في أرجاء البلاد، فقد نشرت هذه القصيدة جريدة (مسلم بهارت) و(بروباشي) وغيرهما، بعد طبعتها الأولى في جريدة (بجلي) الأسبوعية وكان عمره آن ذاك ٢٢ سنة[١٦] وبدايتها:

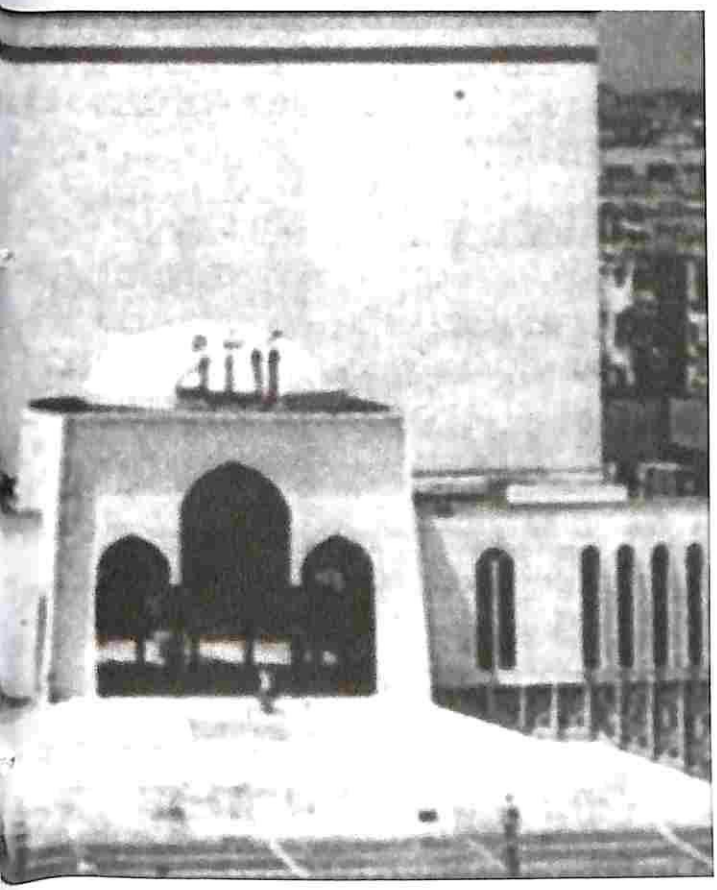

قل أيها البطل
قل : رأسي دائم الارتفاع
ورأسي المتواضع لا ينحني لأحد، فإنه قمة الهملايا
قل أيها البطل !
زاحمت أعنان السماء بعد قطع الأرض المترامية الأطراف
وجاوزت القمر والشمس والكوكب والنجم[١٧]

مرضه

لقد أصيب الشاعر وهو في مقتبل عمره بالزهايمر، وهذا المرض لم يكن معروفاً لدى الأطباء في الهند جيداً، وقبل أن يصاب بهذا المرض تفرس أنه سوف يصاب بمرض فتاك، وظهر هذا جلياً في خطبة خطبها في حفلة انعقدت بمناسبة مرور خمسة وعشرين عاماً على قيام الجمعية الأدبية للأدباء المسلمين البنغاليين ٥و٦ من شهر إبريل في سنة ١٩٤١م فيها إشارة وداعه، ويقول :

" لولا تسمعون مزماري – أنا لا أقول لكم لأني شاعر، بل أقول لكم لأنكم أحببتموني فلي حق المحبة – فاعفوا عني وانسوا أخطائي، صدقوني أني لم آت إليكم لأكون شاعراً ولا رئيساً، وإنما أتيت لأحبكم وتحبوني . ولكن لما لم أجد منكم المحبة فسأنصرف بإحساس صامت عن هذه الدنيا العنيفة الضانة بالحب انصرافاً أبدياً"[١٨] .

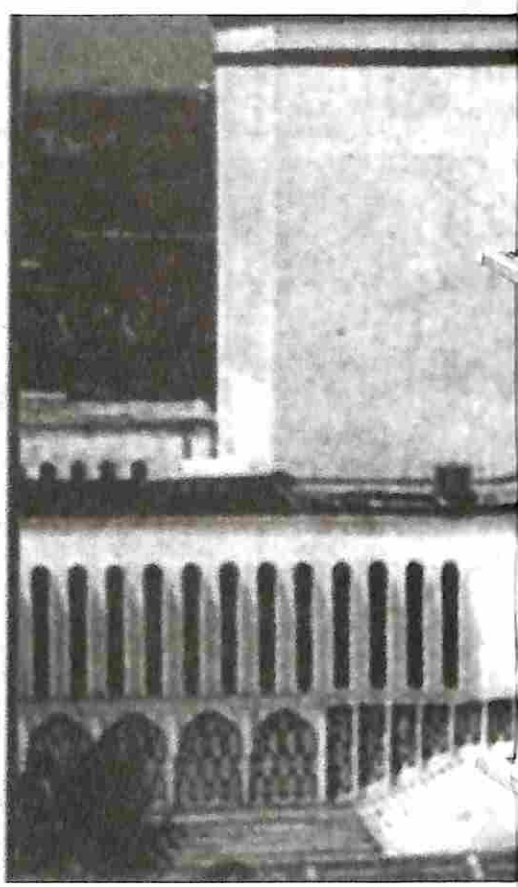

ولم يمض عليه بعد هذه الخطبة شهران إلا وأصيب بالمرض المذكور وهو يلقي قصيدة له في محطة إذاعة كلكتا، فسكت تماما ونفد كلامه، وانقطع رنين مزماره إلى الأبد في ٩ من شهر يوليو سنة ١٩٤٢ . وعالجه الأطباء المشهورون في الهند وفرنسا ولكن محاولاتهم باءت بالفشل، فعانى من هذا المرض الخطير بقية حياته.

عمل في بداية حياته مؤذناً في مسجد ثم معلماً في مدرسة ثم التحق بالجيش ليشارك في الحرب العالمية الأولى حيث كتب الكثير من روائعه الشعرية .

حياته الأخيرة

كان الشاعر نذر الإسلام يمكث في (كلكتا) ولما انفصلت بنغلاديش عن باكستان انتقل شاعرنا إلى دكا متجنساً بنغلاديشياً في ٢٤ من مايو سنة ١٩٧٢م، وفرضت له الحكومة راتباً سخياً، وأعلنت بأنه شاعر وطني، وأقرت قصيدته (جال – جال– جال) (امش – امش – امش) أغنية وطنية، ومنحته جامعة دكا لقب دكتوراه الشرف في الأدب سنة ١٩٧٣م، كما أنه حظي في سنة ١٩٧٦م بـ (جائزة فبراير) (وهي أكبر جائزة بنغلاديشية في اللغة والأدب) من الحكومة البنغلاديشية .

ازداد مرضه يوماً بعد يوم حتى لبى دعوة ربه في ٢٩ أغسطس سنة ١٩٧٦م بعد أن خلف وراءه ثروة هائلة من الشعر والنثر باللغة البنغالية الرصينة . وشيِّع رسمياً ودفن بجوار المسجد المركزي بجامعة دكا حسب أمنيته التي ظهرت في أكثر من قصيدة[١٩] .

آثاره

لقد خلف (القاضي نذر الإسلام) وراءه مؤلفات هائلة وآثاراً قيمة جلها شعر وقليل منها في النثر، وجميعها تدل على فضله الجم وعلمه الغزير وشاعريته العميقة وأدبيته الشامخة ؛ وقد بلغت ثلاثة وخمسين عملاً أدبياً بين الشعر والنثر .

القاضي نذر الإسلام في الأدب العالمي

كان أدبه راقياً جداً شعراً كان أم نثراً، ولكنه كان أدباً إسلامياً خالصاً ولهذا لم يهتم به غير المسلمين، وربما هذا هو السبب لعدم إقبال أدباء العالم على أدبه، ومع ذلك ترجمت بعض آثاره إلى لغات عدة . فقد ترجمت بعض دواوينه إلى الروسية، والإنجليزية، والهندية، والأردية، والتاميلية، ولغة تلغو[٢٠] .

نماذج من أدبه الإسلامي

النموذج الأول :

" رقيتي (إياك نعبد وإياك نستعين) أنا أعبد الله الواحد الأحد، وما أعترف بأية عبادة لغيره، أطلب منه القوة، أنا مسكين، أحتاج إليه سبحانه. وأن أستمد منه القوة والرحمة فسوف يرتعد جرس الصدق والحق بمشيئة الله ليس في الهند فقط، وإنما في العالم كله، فتفيض أمواج الوحدانية الإلهية الدائمة ويجتمع جميع الناس من أنحاء العالم كله في هذه الوحدانية "[٢١].

النموذج الثاني :

" أنا لا أفهم أي قانون ولا أي سياسة لا يصدران عن الإسلام،

أنا أعرف الله عز وجل وأطيعه فقط وأعرف حبه فحسب،

من يتكلم عن التفرقة بين الناس، فهؤلاء أعوان الشيطان، "[٢٢].

النموذج الثالث:

قال الشاعر في قصيدته (ذو الفقار):

" يؤذن ألف مؤذن في مسجد نفسي
والقرآن مكتوب في لوحة قلبي
تقرؤه الروح ليلاً ونهاراً "[٢٣] .

النموذج الرابع :

يقول القاضي نذر الإسلام وهو يوضح تعريف المسلمين :

" نحن ذاك الشعب، الذي استشهد في سبيل الدين
نحن جئنا بالمساواة والرفقة وعلمناهما العالم كله.
نحن الذين جاؤوا بالأمن المستقر المستمد من صدر الصحراء[٢٤] .
للعالم المشتعل بالذنوب
وما جاء الإسلام للمسلمين فقط وإنما من يتبع الحق ويطيع الله هو المسلم
لا فرق بين الفقراء والأمراء، وإنما كلنا إخوة في الله
نحن ذاك الشعب"[٢٥]. ■

الهوامش

(*) أستاذ مساعد بالجامعة الإسلامية العلمية شيتاغونغ، بنغلادش.

(١) سورة الروم :٢٢ .

(٢) أزهر الدين خان، بنغلا شاهيتي نذرُل،(نذر الإسلام في الأدب البنغالي) كلكتا، الطبعة الخامسة ص٢ ؛ الدكتور رفيق الإسلام، القاضي نذر الإسلام،: حسين وكابينا، (القاضي نذر الإسلام :حياته وشعره) داكا، الطبعة الأولى، ١٩٨٢ ص٧ .

(٣) حياة محمود نذرل، أكاديمية بنغلا، ط١، ١٩٨٣م، ص٧، د. شوشبل غوبتا نذرل جريت مانوس (سيرت نذرل) ص٣٤، د. رفيق الإسلام، ص٧-٨ .

(٤) أزهر الدين خان ص٣ ؛ الدكتور رفيق الإسلام ص٩ ؛ حياة محمود ص١٢ .

(٥) الدكتور رفيق الإسلام ص٩ .

(٦) الدكتور شوشيل غوبتا ص١٣ ؛ أزهار الدين ص ٤ .

(٧) حياة محمود ص١٩ ؛ الدكتور رفيق الإسلام ص١١ .

(٨) الدكتور رفيق الإسلام ص١١ .

(٩) الدكتور رفيق الإسلام ص١٤-١٥ ؛ حياة محمود ص٢١ .

(١٠) الدكتور شوشيل غوبتا ص ٣٨ .

(١١) أزهار الدين ص١١ ؛ الدكتور رفيق الإسلام ص١٨ ؛ حياة محمود ص٤٩-٥١ ؛ الدكتور شوشيل غوبتا ص ٤٠ .

(١٢) الدكتور رفيق الإسلام ص١٨-٢٤ ؛ حياة محمود ص ٥٤؛ الدكتور شوشيل غوبتا ص ٤٠-٤١ .

(١٣) علمغير جليل ؛ مقدمة كتاب (نذرل رتشنا سنغرهو) (مجموعة نذرل)، عادل برادس، داكا ١٩٧٧ م ص ج .

(١٤) شوشيل غوبتا ص٤٧ .

(١٥) حياة محمود ص٨٤ .

(١٦) الدكتور رفيق الإسلام ص ٨٣ .

(١٧) القاضي نذر الإسلام، أغنى بنا (مزمار النار)،داكا، المطبعة البنغالية، ط/٣، ص١٣ .

(١٨) حياة محمود ص ١٤٦ ؛ الدكتور شوشيل غوبتا ص٩٠ .

(١٩) حياة محمود ص ١٥٤ .

(٢٠) قمر الإسلام هماليون، مقال بعنوان (قائمة نذر الإسلام) المنشور في مجلة (بريكهون) عدد خاص عن القاضي نذر الإسلام، ١٩٩٥ م ص ٢٤٣ - ٢٤٤ ؛ الدكتور رفيق الإسلام ص ٦٥٩ .

(٢١) أزهار الدين خان ص٣٦٨ ؛ مقتبس من رسالته التي كتبها إلى رئيس تحرير صحيفة (الجهاد).

(٢٢) الدكتور شوشيل غوبتا ص ٢٢٠ .

(٢٣) مقتبس من قصيدة (ذو الفقار) من أزهار الدين خان، ٢٢٠

(٢٤) يراد به المدينة المنورة .

(٢٥) محفوظ الله، نذر الإسلام والأدب البنغالي المعاصر، نوروز كتاب استان، ط / ٢، ١٩٦٩ م ص ١٥٣ - ١٥٤ .